يجلس داخل ورشة عتيقة خلف الجامع الأزهر

صبحي الطيب : شاركت في صناعة كسوة الكعبة وفن «السيرما» يقاوم الزمن وقد ينقرض

خيوط «السيرما» كانت تزين سترات الخديوي والأزياء الملكية وفساتين الأميرات

●●●●

الكويت والسعودية والإمارات من أكثر الدول تشجيعا لهذا الفن

كسوة الكعبة كانت تصنع في حي الخرنفش بالجمالية وتطوف مصر قبل الذهاب إلى مكة

●●●●

أنا عشت في الكويت عدة أعوام في شبابي وعملت فيها وهى من الدول المشجعة لهذا الفن

الحاج صبحى الطيب

صبحى الطيب موجها تعليماته الى عماله وفنانيه

العشري يمارس فنه في صبر

الفنان أحمد مصطفى

داخل مصنعه الصغير أو ورشته العتيقة في حارة الأربعين خلف الجامع الأزهر بمنطقة الحسين يجلس الحاج صبحي الطيب مع عماله وفنانيه داخل ورشة أثرية تم إنشائها منذ عقود يمسك بيده الإبرة والأقمشة المتنوعة ليطرز الآيات القرآنية بخط بديع مقاوما تطور الزمن بعد أن أصبحت مهنته وفنه آخذين في الاندثار « التقيناه فقال أنا عشت في الكويت عدة أعوام في شبابي وعملت فيها وهى من الدول المشجعة لهذا الفن وأكثر زبائني من الكويت والسعودية والإمارات وراح يسرد الحاج صبحي جانبا من معاناته وذكرياته مع فن السيرما لنتجول في الورشة بعد ذلك ونتعرف على فنانيه الذين تعلموا عنده ويعتبرهم الجيل المكافح من أجل بقاء فن السيرما .

فن «السيرما» يندثر تدريجيا ولم يتبق إلا الورش مازالت صامدة في مواجهة الزمن بمتغيراته

■ بداية حدثنا عن مشاركتك في صناعة كسوة الكعبة في بداياتك ؟

– كانت مشاركات بسيطة في مقتبل عمري كنوع من المساعدة لوالدي الذي كان يعمل بحي الخرنفش بمنطقة الجمالية بالقرب من شارع المعز لدين الله الفاطمي مع أصدقائه من الفنانين المهرة حيث تأسست دار صناعة كسوة الكعبة بهذا الحي في العصر المملوكي وكانت ترسل الكسوة سنويا في موكب مهيب يطوف مصر يتزامن مع موسم الحج وكان الموكب يعود بعد انتهاء موسم الحج حاملاً الكسوة القديمة فيهدي السلطان المصري قطعاً منها لمماليكه أو للعلماء وكبار الأعيان وبالتأكيد كان لهذه القطع قيمة معنوية كبيرة فضلاً عن قيمتها الفنية الرائعة وكان الناس يعلقونها في صدارة مجالسهم وصناعة الكسوة كانت تستمر على مدار العام تقريبا وتستخدم فيها خيوط من الذهب والفضة والحرير ويحصل العامل فيها على جنيهات قليلة غير أن قيمة الجنيه كانت وقتها مرتفعة للغاية وهذه الصناعة اليدوية تألقت في العصر العثماني بمصر وإسطنبول حيث أصبحت تزين الأزياء الملكية وسترات الخديوي وفساتين الأميرات كما كانت تستخدم في ملابس وجداريات الكنائس القبطية بمصر.

■ هل تتذكر متى توقف إرسال كسوة الكعبة للملكة العربية السعودية؟

– توقفت مصر عن إرسال كسوة الكعبة عام 1962 وذلك لتولي المملكة العربية السعودية شرف صناعتها مما دفع الحرفيين المتخصصين في هذا المجال للعمل في نقش وتطريز الآيات القرآنية للبيع للسوق المحلي والسياحة .

■ ما هي مراحل تصنيع لوحة فن السيرما ؟

– في البداية يقوم خطاط بكتابة الآية المراد نقشها على ورقة بمساحة القماش قبل ثقب مكان الحروف وطباعتها عبر بودرة بيضاء اللون على قطعة القماش ثم وضع ورق مقوى مماثل للحروف وبدء غزل تلك الحروف بالخيط والتطريز في شغل السيرما ينفذ باستخدام خيوط ذهبية أو فضية أو نحاسية إما طبيعية أو مصنعة ويمكن أن يضم الخرز والترتر المعدني ويأتي سحر وفتنة هذا النوع من التطريز بفعل لمعان الخيوط المعدنية حيث يغير اتجاه الخطوط مع حركة الضوء من درجات الألوان ويجعل السطح يظهر بمستويات لونية مختلفة وتعطي بُعداً آخر للتطريز .

■ هل هناك أنواع مختلفة من الغرز تختلف باختلاف اللوحة وطريقة الكتابة فيها ؟

– كل الغرز لا تخرج عن واحدة من المجموعات الأربع التالية: أما الغرزة المسطحة فمستقيمة ومسطحة على القماش ويمكن أن تكون بأي طول وفي أي اتجاه لتملأ المساحة المطلوبة أما الغرزة المعقودة فتشكل عقداً من الخيوط على القماش لكن الغرزة السلسلة فتشكل حلقات مرتبطة معا وأخيرا غرزة الحلقة أو العروة فمنحنية أو مقوسة ولكل مرحلة أو لوحة الغرز المناسبة لها و يمكن التطريز على القطعة القماشية بخيوط الحرير وإبرة الحرير وتكون ذو فتحة كبيرة ولها أيضا استخداماتها والخامات يتم استيرادها من الخارج فخيوط النحاس يتم تصنيعها في مصر وكوريا واليابان .

■ هل ترى أن هذا اللون الفني بدأ يندثر وقد ينقرض مستقبلا ؟

– نعم فن السيرما يندثر تدريجيا ولم يتبق إلا عدد محدود جدا من الورش التي مازالت تقف صامدة في مواجهة الزمن بمتغيراته بحثا عن دعم مفقود حفاظا على حرفة تعد من أشهر الحرف التراثية ونتمنى دعم الدولة حتى لا ينقرض هذا الفن بوفاة فنانيه .

لقاءات مع فناني الورشة

ويقول ياسر محمد أحد العاملين في ورشة الحاج صبحي أنا شغال في هذه المهنة منذ ثلاثين عاما تقريبا وهى مهنة تحتاج إلى تركيز وصبر طويل لأنه شغل يدوى دقيق وحرفة صعبة ولذلك لا يوجد إقبال عليها من الشباب لأنه لا يمتلك هذا الصبر فاللوحة الواحدة قد تستغرق أسبوع لو متر في متر حسب حجمها وعدد الكلمات بداخلها وبالطبع لو مقاس أكبر تستغرق فترة أطول ويضيف ياسر صلاح بالعكس لا أشجع أولادي على العمل فيها لأننا أصبحنا في زوايا التاريخ ونسيا منسيا والعصر الذهبي للمهنة انتهى وكل الموجودين فيها حاليا قدامي وفوق الخمسين فهي تقاوم الاندثار .

ويقول خالد العشري أعمل في المهنة منذ ربع قرن تقريبا وهو فن إبداعي للتطريز اليدوي وأشعر بسعادة كبيرة وأنا أقوم بعملي لأنني أحبه وحول التصميم الذي يعمل على تنفيذه يضيف العشري قائلا : يقوم الحاج صبحي بعمل التصميم ثم نقوم بتنفيذه بدقه شديدة تحت إشرافه وحول الدول الأكثر إقبالا على الشراء قال الدول العربية والإسلامية ودول آسيا تقبل على هذا اللون الفني مختتما نتمنى أن تكون الخامات متوفرة داخل مصر معترفا أن الصين أضرت بالمهنة لكن تظل لها رونقها لأنه شغل إبرة يدوي وليس ماكينات صماء .

ويقول أحمد مصطفي محمد كلنا نمتلك المهارة في هذا المصنع أو الورشة وبقى لي 33سنة أمارسها والحاج صبحي تبنى جيل كامل للعمل في هذه المهنة وعلمنا ونعمل معه من يومها لكن أيضا مع تطور الزمن واقتحام التكنولوجيا في كل شيء في حياتنا تراجعت المهنة وأصبحت مهددة لصعوبة عملها وارتفاع تكلفة الخيوط لأنه شغل سلك مثل الموجود على كسوة الكعبة خيوط سلك وحرير فشغلنا يعتمد على طبقات معينة من الشعب المصري والسياحة العربية والخليجية .

لوحة «محمد رسول الله عليه الصلاة والسلام»

لوحة «ماشاء الله لا قوة الا بالله»

لوحة «ألا بذكر الله تطمئن القلوب»